المعنى العقائدي لقيام الجمهورية العربية المتحدة

بقلم الدكتور حسن صعب

قيام الجمهورية العربية المتحدة حدث تاريخي فريد في غنى معناه العقائدي . والمعنى العقائدي للحدث التاريخي، او للموجود الاجتماعي السياسي الذي ينبثق منه ، يمكن ان يستكنه من طبيعة هذا الموجود ، او ان يستخرج من النصوص التي ترافق ولادته وتطوره . والنهجان يبرزان الغنى العقائدي العربي . والنهجان نسلكهما هنا معتمدين مفهوما شاملا للعقائدية يسع الدين والفلسفة والايديولوجية . وبذلك نرد للعقائدية كامل اعتبارها ، ونعيد لها مراتبها الميتافيزيقية ، والخلقية التي تحاول الايديولوجية المادية ، شرقية كانت او غربية ، ان تنزل بها عنها ، فتجرد بذلك الانسان من اعمق وانبل ما فيه ، نعني قابليته الروحية لان يتجاوز نفسه وكونه ، لما يستطيع هو ان يتصوره او ان يراه اسمى وارفع منهما .

والمناسبة التاريخية التي نتحدث فيها اليوم هي المناسبة المثلى لرد هذا الاعتبار الشامل للعقائدية . فالجمهورية العربية المتحدة باقليميها الجنوبي والشمالي مهد وقلعة للاديان السماوية الثلاثة ، التي تعودنا ان ننظر اليها كلها نظرة احترام ، ان لم يكن نظرة تقديس . وهذه الاديان الثلاثة تلتقي في وجود الله وحقيقته ، وفي تصور الانسان مخلوقا على صورته او خليفة له على الارض ، وفي تصوير البشر جميعا افراد اسرة انسانية واحدة كلها اسرة الله ، واذا قيمنا هذه التصورات تقييما دينيا روحيا ، او فلسفيا، او خلقيا ، او تراثيا ، فانها عندنا تصورات ازلية ، لا نرى الانسان الا من خلالها ، ولا نبصر العربي الا في نورها ، ولا نستطيع ان نتخيل الجمهورية العربية المتحدة الا انعكاسا حيا لها .

والجمهورية العربية المتحدة كما وصفها رئيسها الفذ بالامس مولد ارادة اكثر مما هي مولد دولة ، اي ان مولدها يعبر عن تفتح امكانات عقلية وارادية خلاقة ان انصبت اليوم على بناء دولة واعادة تنظيم مجتمع وتحرير وطن وصيانة قومية ، فانها متجاوزة في غاية وجودها ومقاصدها الاخيرة ، هذه الاهداف الاولى الى ما هو اوسع منها . ان الشعب ليختبر قابليتها للنجاح او للاخفاق . ان ايمانه بها من العمق والقوة بحيث ان امكانية اخفاقها امر يشككه بقيمة حياته نفسها ، وهو انما ارجأ الاقدام عليها طوال هذه المدة لان قوى خارجة عنه كانت ابدا تحول بينه وبينها ، وقد ظل يقاوم هذه القوى حتى استطاع ان يزيح عنه كابوسها ، فالتقى بالوحدة وعانقها ، كانما يلتقي بقدره الذي ضل عنه ردحا من الزمن .

ولم يكن الشعب العربي في مختلف ارجاء وطنه ، من المحيط الى الخليج ، بحاجة الى ان ينتظر هذا العام ليحكم على نجاح ما يسمى بالتجربة الوحدوية ، فليس في هذا الشعب من لا يعتبر الوحدة هدفه الاسمى الذي يناضل لبلوغه منذ اجيال . واذا كان ثمة بعض افراد او بعض فئات تظهر انها غير مقتنعة بهذا الهدف ، فانما هي مضللة او مدفوعة بايد اجنبية او مقيمة على اطماع شخصية . ولن ينتظر الشعب العربي طويلا حتى يطيح بهؤلاء الافراد وهذه الفئات التي تعمل على عرقلة اسمى غاية تستكن في النفوس العربية منذ قرون . لن ينتظر الشعب العربي طويلا في العراق والاردن والسودان وتونس وفي كل تربة عربية اخرى ليهدم كل سد ينصبونه في وجه التيار الوحدوي الواعي، وليطيح بكل رجل يتخذه الاستعمار صنيعة له ليكبت هذا الايمان العميق الذي أصبح المبرر الوحيد للوجود العربي الحي .

لقد كان تحقيق الوحدة بين مصر وسوريا استجابة منطقية وطبيعية لارادة الشعب العربي في الاقليمين ، وقد كان يضر ضررا جسيما بهذه الوحدة ان يتأخر تحقيقها فترة اخرى من الزمن ، كما يضر بها الان ان تعمل بعض العناصر المدخولة على تأخيرها في اقطار اخرى مستقلة من الوطن . ولكن الوحدة ماضية في طريقها تحقق لنفسها كل الثمرات والمكاسب التي تنشأ بالضرورة عن مقتضياتها الواقعية . انها تحقق ثوريتها تحقيقا رائعا في الميدانين الخارجي والداخلي ، فتنصب حولها نطاقا حديديا متينا يحميها من اطماع الاستعمار والصهيونية ، وتقيم في داخلها نظاما اقتصاديا سليما يهدف الى ازالة سيطرة الاقطاع والى رفع مستوى العامل والفلاح بفضل تأسيس مجتمع اشتراكي ديموقراطي تعاوني يشيع العدالة الاجتماعية ويرد للمواطن كرامته الانسانية ويقيه غوائل الظلم والفقر ، ويتيح له ان يمارس حرياته في ظل العدل والقانون .

لقد كان انتصار الوحدة في عام يتناسب والامل العظيم الذي كان الانسان العربي يعلقه عليها . فلتمض في طريقها الصاعد : انها لن تتعثر ولن تتقهقر ما دامت الارادة العربية تحدوها وتدفعها ، مؤمنة بان هذه الوحدة هي قدرها الحقيقي، وان عظمة هذا القدر تكمن في انها هي التي اختارته ورسمت طريقه .

سهيل ادريس

غاية وجود هذه الامكانات المتفتحة بعث الذات العربية بعثا جديدا ، لتشارك في عملية سيطرة الانسان على الكون ، وعلى الطبيعة ، ولتسهم في عملية اعادة تنظيم المجتمع البشري ، اسهاما روحيا وعقليا خلاقا ، يؤدي لتوفير الحرية لا لكل عربي فحسب ، بل لكل انسان .

والجمهورية العربية المتحدة ، بجامعاتها القديمة والحديثة هي الامنية الاولى على التراث الثقافي العربي . وهذا التراث انفتح ما بين القرن السابع والرابع عشر ، اي حينما كان الانغلاق والانعزال القاعدة الوجودية الغالبة على المجتمعات ، انفتح التراث العربي اي العقل العربي في ذلك الحين على الاقل على كلية التراث السامي الروحي ، وعلى تراث اليونان العقلي ، وتراث فارس الحكمي الخلقي، وتراث الهند الرياضي والروحي ، واحتواها كلها حتى في قواعد السلوك الحياتي ، ونظمها اجزاء في مركبه الثقافي الجديد. والامانة الحقيقية لهذا التراث اليوم ، ليست لحروفه ونصوصه بقدر ما هي الامانة للعقل الحر ، والانسان الخلاق، اللذين كانا قوام وجوده . وما تصور الجمهورية العربية المتحدة الا الحاملة الفخورة لهذه الامانة .

والجمهورية العربية المتحدة اسيوية ،وافريقية التركيب الجغرافي ، ولكنها عالمية الموقع . وهذا ما يحملها مسؤولية عقائدية ليست عربية ولا افريقية ولا اسيوية فحسب ، ولكنها انسانية الابعاد ، ويلقي عليها تبعة النفاذ الى جوهر العقائديات الانسانية المتصارعة في عالم اليوم . ان جوهر العقائدية العربية التشوق لتكون جديد حروشامل وسعيد. وجوهر العقائدية الاسيوية والافريقية نزعة عاصفة الى التحرر جمحت اخيرا حتى بابن الكونغو . وجو العقائديات الغربية صون حرية الفرد ، والحرص على الماضي حتى ما كان زائلا منه . وجوهر العقائدية الشرقية الشيوعية التطلع الصارخ لمزيد من العدالة الاجتماعية الجماعية ، والتشوف الحاد للمستقبل ،ولو تشوفا توهميا .

هذه صورة بسيطة لعالم اليوم العقائدي الذي تقع في قلبه الجمهورية العربية المتحدة . وهي صورة لا يمكن ان ترى على حقيقتها الا اذا نظر اليها من خلال ما يجابه العالم الان من تحديات العلمية الذرية البعثية او الافنائية ، والا اذا احيط بها في اطارتها التاريخية السياسية والاقتصادية المتحركة . ومعنى كل هذا ان جوهر موقف الجمهورية العقائدية الان ، هو ان تستطيع العقائدية العربية عن طريقها ان تتفاعل مع جواهر هذه العقائديات الانسانية تفاعلا خلاقا وخيّرا في نفس الوقت الذي يتفق فيه مع سلامة الجمهورية وسلامة الاماني العربية .

والجمهورية العربية المتحدة تحصر بين شمالها وجنوبها بلدا يقوم على عقائدية الحقد . نعم ان مركب الحقد على ما انزل العالم الغربي والشرقي من اضطهاد بالاسرائيليين ، والقالب القومي العصبي الذي صبه فيه هرتزل ووايزمان، هو المسؤول النفسي عن قيام اسرائيل وبقائها حتى الان . وما يقوم على الحقد سلبي وهدام ومدمر في النهاية ، ايا كانت الاشكال البنائية التي يتخذها في البداية او الدعاية . وقد هدمت اسرائيل حياة شعبنا العربي الفلسطيني ، وهي بعقائدية الحقد هادمة كل شعب عربي تمكّن منه . والجمهورية العربية المتحدة سد منيع ، والقومية العربية رد تحرري وتحريري بنائي على عقائدية الحقد الاسرائيلية الهدامة . ولن يكون لنا اقرار حتى تنسخ عقائدية التحرر البنائية عقائدية الحقد الهدامة نسخا نهائيا .

واخيرا فان الجمهورية العربية المتحدة هي من صنع الطبقة المتوسطة مدنية وعسكرية . والعقائدية المختلجة فيها ، هي الان عقائدية هذه الطبقة . والانسان قد اخضع الكون الطبيعي المتحدي له ، وصيره جزءا حيا من تاريخه بالعمل والعقل . اي ان العامل والمفكر هما محررا الانسان من الطبيعة ، وهما صانعا التاريخ الحقيقيان . وبالعامل نعني كل من اصطنع الجهد العقلي سبيله لمعرفة اقوم ولحياة سواء كان عمله في الارض او المصنع او المكتب . وبالمفكر نعني كل اصطنع الجهد العقلي سبيله لمعرفة اقوم ولحياة افضل له وللاخرين . ولذلك نتصور الجمهورية متطورة عقائديا وكيانيا من جمهورية الطبقة الوسطى الى جمهورية العمل والعقل،اي جمهورية العدالة والحرية معا،وهذا هو مفهومنا الحركي لتطلعها الى المجتمع الديموقراطي الاشتراكي التعاوني . بل وهذا هو مفهومنا لتطور جميع العرب ، ان لم يكن جميع البشر ، من حالات العبودية الظاهرة والمستترة الى حال الحرية الحقة .

حسن صعب

اعلام الفلسفه العربيه

اوفى المؤلفات في موضوعه

يجمع الى شمول الابحاث وغزارة المادة الدقة

والوضوح في معالجة القضايا

ويتميز بحسن اختيار النصوص القديمة وشرحها

الشرح الدقيق الوافي

وضعه بعد خبرة سنين كثيرة في تدريس المادة

كمال اليازجي — دكتور في الاداب — بالجامعة الاميركية

انطون كرم — ماجستير في الاداب — بالجامعة اللبنانية

لجنة التأليف المدرسي ، بيروت